

فضائل المدينة النبوية

الحمد لله الموصوف بصفات الجلال والكمال، امتن على خلقه بمزيد الإنعام والإفضال، أحمدته تعالى وهو المحمود على كل حال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا فوز إلا في طاعته، ولا عز إلا في التذلل لعظمته، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليفه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خير صحبٍ وآل، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآل.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حقَّ التَّقوى، فإنَّ من أطاعه أنجاه، ومن أقبل إليه أرضاه، ومن شكره جزاه.

أيها المسلمون:

لقد بعث الله رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، فصدع بأمر الدعوة وقام بها خير قيام، مكث في مكة المكرمة ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى عبادة ربه، فاشتدت عداوة المشركين له ولأصحابه، وأذاقوهم صنوفاً من العذاب وألواناً من الأذى، ومن سنن الله الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر. وفي وسط ظلام الشرك الحالك في الأرض، أخذت تباشير الصباح تلوح في الآفاق المدلهمة إيذاناً بالهجرة، فأرِيَ النبي عليه الصلاة والسلام في منامه دارَ هجرته تعجيلاً لبشراه، فإذا هي أرض بها نخل وسبخة بين ظهرائي حرّة، وأمر الله رسوله ﷺ بالتضرع إليه لدخولها فقال

له: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: الآية ٨٠]، فتعلقت قلوب المؤمنين بها، وتطلعت أبصارهم وأفتدتهم إليها، فهاجروا إلى طابة، ذلك الاسم الذي سماها الله به من فوق سبع سموات.

إنها طيبة دار الإيمان، وأرض الهجرة، ومبوء الحلال والحرام، فتحت بالقرآن والإيمان، وحمى الله فيها دينه بمهاجره عليه الصلاة والسلام إليها، أنزل الله فيها البركات وأفاض عليها ربنا من الطيبات، قدم إليها النبي ﷺ وهي أوبأ أرض الله، كان وادي بطحان يجري نجلاً ماء آجناً، ووعك بعض الصحابة رضي الله عنهم من الحمى فقال: «اللهم صححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة» (متفق عليه)، قال ابن حجر: «فعدت المدينة أصح بلاد الله، بعد أن كانت بخلاف ذلك».

من تصبَّح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سُم ولا سحر، وفي عجوة العالية منها شفاء أول البكرة. وفي مدها وصاعها ومكيالها وثمرها وقليلها وكثيرها بركة يقول النبي ﷺ: «اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا» (رواه مسلم)، والبركة فيها مضاعفة يقول عليه الصلاة والسلام: «اللهم بارك لنا في قليلنا وكثيرنا واجعل مع البركة بركتين» (رواه ابن حبان). وقد دعا خليل الرحمن ﷺ لمكة بقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: الآية: ١٢٦]، ودعا رسولنا ﷺ للمدينة بمثل ما دعا به إبراهيم ﷺ وزاد فقال: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما بمكة من البركة» (متفق عليه)، فيا من دعا له النبي ﷺ بالبركة والخير الزم الكسب الحلال في البيع والشراء، والتعامل بالصدق والنصح والبعد عن الكذب والغش والتدليس، فالبركة حالة في القليل منه، ولا تدنس مالك بما حرم الله عليك.

أيها المسلمون:

المدينة محفوفة بالرعاية، محفوظة بحفظ الله بالملائكة، يدفعون عنها

شُرور الأعداء، ما من شِعْب فيها ولا نَقْب إلا عليه ملكان يحرسانها، لا يدخلها الدَّجال ولا رَعْبُ الدَّجال، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب منها ملكان، على أنقابها ملائكة يمنعون دخول الطاعون إليها. وتولى الله حماية أهلها من كيد الأشرار وسوء الفجار، فلا يريد أحد أهلها بكيد أو سوء إلا أذابه الله ذوب الرصاص في النار، ومن أخاف أهلها فقد دعا عليه المصطفى ﷺ بأن يخيفه الله ويلعنه، بلدة محبورة محروسة مختارة، ما بين مأزميها حرم آمن لا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح، طيورها وأشجارها في احترام وصيانة وأمان، ومفقودها حاضر، نهى ﷺ أن يعضد شجرها أو يؤخذ طيرها أو يختلى خلاها، ولا تؤخذ لُقَطُها إلا لمنشد.

أيها المسلمون:

طابة مستقر الإيمان ومأواه، انتشر منها الدين وإليها يعود، «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حجرها» (متفق عليه). إن شعاع النور والهداية من طيبة انبثق، ويأبى الله أن يكون نور الإيمان مدنساً بدعة أو ملوثاً بخرافة، ومن ابتدع فيها بدعة، أو آوى مبتدعاً، أو نصر جانياً، أو ضمّه إليه وحماه، فقد أخبر النبي - عليه الصلاة والسلام - أن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف.

إن طلبه العلم هم أشدُّ النَّاسِ حرصاً وأعزُّهم مطلباً، ويأتي على النَّاسِ زمان يسرون سيراً شديداً في البلدان يطلبون العلم، فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة يقول النبي ﷺ: «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم، فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة» (رواه الترمذي وابن حبان).

أيها المسلمون:

المرء في حياته معرض للفتن والرزايا، والمحن والبلايا، ولا ينصع نور الإيمان ويَرَسُخُ اليقين إلا بالتمحيص والمماحلة، وبلد رسول الله ﷺ

من مواطن الابتلاء الشديدة، من ثبت على لأوائها ظفر بشفاعه أو شهادة من الرسول ﷺ، ومن خرج سخطه منها رغبة عنها، أبدله الله فيها من هو خير منه .

والدنيا تفنى والدين يبقى، ومهما ظهر الرغد وطيب العيش في الأمصار فالزم المدينة، فالخيرية والتفضيل والتشريف فيها، يقول النبي ﷺ: «يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء هلم إلى الرخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه» (رواه مسلم).

ساكنها مع الإيمان والتقوى مفضل في الحياة والممات، جاء الحث على لزوم الإقامة فيها والموت بها، ومن فعل ذلك كان له النبي ﷺ شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة .

أيها المسلمون:

في موطن الهجرة والسنة أول مسجد أسس على التقوى، وأول مسجد أذن فيه في الإسلام، وآخر مسجد أسسه الأنبياء، والصلاة فيه بألف صلاة فيما سواه، وما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة، ومنبره على حوضه، وعلى ترعة من ترع الجنة .

وفيها مسجد قباء، كان النبي ﷺ يأتيه راكباً وماشياً ويصلي فيه ركعتين .

وأحدها معلم على التوحيد يحب المسلمين ويحبونه، صعد عليه رسول الله ﷺ ذات يوم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - فرجف بهم فضربه برجله وقال: «اثبت أحد فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان» (رواه البخاري). ولئن كان الجبل الصلد يحب المصطفى ﷺ فمحبته البشر له باتباع هديه ألزم حباً من هذا الجبل .

الأرزاق في طابة مباركة دارّة، والأعين بها قارّة، أحبّها النبي ﷺ حباً
 جمّاً، كان إذا قدم من سفر فنظر إلى جدران المدينة أوضع راحلته على
 سرعة السير، وإن كان على دابة حركها من حبه لها.
 أغير هذه المحامد ساكنوا المدينة يبتغون؟ أم بعد هذه الفضائل
 قاطنوها يرغبون؟!!

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُمْ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ [سَبَأ: الآيه ١٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن
إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً
عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

فحق على الله ما ارتفع شيء إلا انخفض، ومع هذه الفضائل
والمحامد فسيأتي على المدينة زمان يتركها أهلها للعوافي والسباع يقول
النبي ﷺ: «يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي -
يريد عوافي الطير والسباع - وآخر من يحشر راعيان من مزينة يريدان
المدينة ينقان بغنميهما فيجدانها وحشاً - أي: خالية ليس فيها أحد -، حتى
إذا بلغا ثنية الوداع خراً على وجوههما» (رواه البخاري).

فعلى المسلم أن يعرف لهذه البلدة الطيبة حرمتها، فلا يدنسها بسفه
من القول، أو باطل من الفعل، أو منكر من العمل والاعتقاد، وليكن
مغتتماً وقته بالطاعة، مشمراً عن ساعد الجد، معرضاً عما يبعه عن ربه،
مقبلاً عليه بالكلية، شاكراً لنعمائه، وعلى ساكنيها أن يتصفوا بأعالي
الصفات ديناً وصلاًحاً واتباعاً وتقياً وحُلُقاً، وأن يكونوا غاية في الصدق
والإخلاص ومحبة المسلمين الوافدين وإكرامهم، وليكن منهجهم هو قول
الله: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَمُّونَ الصُّلُوَّةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: الآية ٧١]، وخلقهم: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى

أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿٩﴾ [الحشر: الآية ٩]، ودعائهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: الآية ١٠].

وواجب على زائرها الاحتراز من المحظورات وأسبابها.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه . . .